دويلة جبل القلال (٢٧٧-٣٦٥هـ/ ٨٩٠-٩٧٦م)
دراسة تاريخية

أ.د. مثنى فليفل سلمان م.م. هدى ياسر سعدون
جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية

الملخص:

تضمنت هذه الدراسة مواضيع عدّة شملت البحث بكل جوانبه، مبتدئين بتسميته ثم الموقع الذي اختلف عليه المؤرخون قدامى ومحدثين. ومن ثم توسع المسلمين في هذا الجبل واستمرار حياتهم فيه فيما جاء البحث بدراسة الجانب السياسي في جبل القلال والجانب الاقتصادي المتمثل بالأراضي الخراجية ثم الجانب الديني للحصن، في حين وضحنا اهم الاسباب التي ادت الى سقوط الحصن ومدى اثره على المسلمين. توصلت الدراسة الى ان مسلمي جبل القلال استطاعوا ان يثبتوا سيطرتهم على جبل القلال من خلال نشاطهم السياسي والاقتصادي ثم الفكري المتمثل بنشر الوعي الفكري فضلا عن دراستنا للحالة الاجتماعية التي عاشها المسلمون هناك، في حين كشفت الدراسة على الرغم من ازدهار هذه الدويلة طوال ثمانين عاما فقد كانت هالك نقاط قد شكلت ضعفا كبيرا وكانت بداية لنهاية جبل القلال مما جعلها ان تكون خارج تبعيتهم وانجلى لنا واضحا من خلال الاخفاق السياسي، والانهيار العسكري الذين شكلا احد اهم الاسباب لسقوطها بعد مدة من الصمود .

The state of Jebel Al-Qalal (277-365 A.H. / 890 – 976 A.C.)

Prof. Dr. Muthana Flaifel Asst. Instr. Huda Yassir Sadoon
University of Baghdad - Gollege of Education / Ibn Rushd
the department of Arabic language

Abstract

The study includes a detailed introduction which includes many subjects starting from the etymology passing through the location which the historians, then the beginning of the Islamic expansion in Jebel and their descending there, and lastly how that fort has fallen.Through the study, we found many state names like Farshkhaneet, Fransium, Fraxine forest and Gloria. While it witnessed the feigning of the Muslim expansion in the territory before many. Then, we tackled their struggle against the franks Jebel Al-Qalal which resulted with the attack Province and their struggle with the Christian Aimon. The study showed that the Muslims of Jebel Al-Qalal managed to prove their control over Jebel Al-Qalal through their economical, religious, and cultural represented in the spread of the intellectual social status. In spite of the prosperity of the state of Jebel Al-Qalal through the period of (80) years, there were many weakness point which form the beginning of the fall of Conard plot, which for the demise of Muslims

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلق الله والمبعوث رحمة للعالمين من بدء الخلق إلى يوم الدين أبو القاسم محمد وعلى آله الطيبين..

أما بعدُ؛ فقد حفل تاريخ المسلمين في بلاد الأندلس بكثير من الحوادث المهمة التي تركت أثراً كبيراً في التاريخ، لكننا وللأسف نجد هناك أحداثاً جساماً تغافل عنها المؤرخون العرب، ومن هذه الأحداث الكبيرة وجود عدد من الدول التي لم يتطرق لها المؤرخون، لأسباب مازلنا نجهلها، لذلك جاءت هذه الدراسة من أجل تسليط الضوء على "دويلة جبل القلال في الأندلس" التي نسيها أو تناساها المؤرخون المسلمون، هذه الدويلة التي أدت دوراً كبيراً في وصول العرب إلى جزر البليار والبروفانس، وعملت من الأراضي الفرنسية ممرات عربية للوصول إلى أهدافها المنشودة، وهذا يقودنا إلى القول وبصراحة إن ظهور الإسلام في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، يُعد حدثاً عظيماً وجللاً بسبب واقع التغيير المذهل الذي قلب موازين القوى في العالم آنذاك، وحول مجرى التاريخ الأوربي الحديث، الذي ظهرت فيه وتطورت حركة الفتوحات العربية الإسلامية، حيث ظهر المسلمون على مسرح الأحداث التأريخية قوة عظمى ومنظمة في جميع الأحداث، فبعد وفاة الحبيب محمد (ص) سنة (١١هـ/ ٦٣٢م) قام المسلمون بفتح الإمبراطورية الساسانية وأزالتها من الوجود، ثم ضموا إلى دولة الإسلام ممتلكات الدولة البيزنطية في كل من آسيا وأفريقيا، كما فتحوا بلاد الأندلس واصبح المسلمون ينطلقون منها لفتح بلاد أوربا.

وبالفعل بدأ جهاد المسلمين بالتوغل في داخل بلاد الغال كخطوة طبيعية لفتح بلاد الأندلس، ولم يوقف فتوحاتهم سوى (شارل مارتل) عند مدينة (بواتيه) لكن هذا التوقف لم يستمر لمدة طويلة إذ سرعان ما واصلوا فتوحاتهم في ربوع العالم، وبالتحديد مملكة الفرنجة، والفتوحات الإسلامية لبلاد الغال (١١٤-٣٦٥هـ/ ٧٣٢-٩٧٥م) إذ تناولت في هذا البحث فتوحات المسلمين في تلك البلاد وبالتحديد في منطقة جنوب فرنسا (دويلة جبل القلال) حيث تتبع المسلمون الخطى في تلك البلاد التي لم يألفوها من قبل، فهذا الموضوع على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة للقارئ العربي، فالمصادر العربية مرت عليه مرور الكرام على هذه الفتوحات والسبب يبقى مجهولاً، فيكاد نقلها يكون شبه حرفي واكتفت المراجع بالنقل من كتاب لـ(جوزيف رينو) المعنون (الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا) الذي تم طبعه في سنة (١٨٣٦م) والذي ترجمه لأول مرة (شكيب أرسلان)، مما أدى ذلك إلى اعتماد الباحث في البحث على المراجع الحديثة نتيجة لعدم وجود هذه المعلومات في المصادر بشكل واسع، وكون الباحثين قد أطلعوا على هذه المعلومات من المراجع الأجنبية مما جعلهم يثبتونها، ويبدو لنا ذلك من خلال وجود كلمات ومصطلحات حديثة لم نجد لها معلومات تأريخية أو جغرافية مما جعلنا نغض الطرف عنها.

لابد أن نذكر هنا أن كتاب (رينو)،(الفتوحات الإسلامية) يعبر عن وجهة نظر الكنيسة المسيحية، بدليل ابتعاده عن الحيادية التي ينبغي أن يتحلى بها كل مؤرخ منصف ونزيه، فضلا عن عدم تفحصه وتدقيقه للمصادر الإسلامية حتى يتمكن من عقد دراسة تحليلية نقدية مقارنة لكافة أنواع المصادر قدر الاستطاعة، للاقتراب من الواقع التأريخي، فضلاً عن طغيان أحداث الأندلس على كتاباته فكثيراً ما يبتعد عن عنوان كتابه ليضيع في دهاليز الأندلس، كما أن البحث العلمي قد تجاوزه وهذا ما دفعنا كباحثين إلى البحث في مصادر أخرى لإضافة أهمية لهذا الموضوع، وضرورة تناوله بجدية على ضوء ما وجدته من مصادر ومراجع، وهي مشكلة واجهتنا منذ اللحظة الأولى حيث برزت مشكلة وجود كتابات فريدة وشحيحة، بسبب فقر مكتباتنا للمصادر والمراجع المتعلقة بهذا الموضوع.

أما المصادر الكنسية؛ فعلى الرغم من غزارة مادتها التأريخية إلا أنها كلفتنا جهدا كبيرا في الحصول عليها بسبب عزمنا على تنقيتها من الشوائب وخاصة شائبة التعصب الديني الذي يعبر عن وجهة نظر مغايرة للإسلام والمسلمين، لأن المادة الكنسية تعبر عن وجهة نظر الغرب الأوربي المعادِ للإسلام والمسلمين لذلك كنا حريصين في النقل منها.

جاء البحث بمقدمة مسترسلاً بمواضيع عدة شملت البحث بكل جوانبه، بدءاً بالتسمية والموقع التي اختلف عليها المؤرخون، ثم بداية توسع المسلمين في الجبل ونزولهم فيه، كما وضحت الدراسة الجانب السياسي والاقتصادي والديني للحصن، وأخيراً كيفية سقوط هذا الحصن وأثره في المسلمين.

دويلة جبل القلال[١] (٢٧٧– ٣٦٥هـ/ ٨٩٠م–٩٧٦م)

١. التسمية:

تعددت التسميات لدويلة جبل القلال[٢] ، لذلك نراه يرد في المصادر العربية والأوربية بشكل مختلف، ومراعاة للتسلسل التاريخي سنقوم بعرض التسمية، حسب الإطار الزمني، فأول إشارة ترد بهذا الاسم إلى جبل القلال[٣]،.

فيما ذكرها ياقوت الحموي بالتسمية نفسها إلا انه فصله بقوله (بكسر آخره)[٤]، كما جاءت تحت اسم (فرخشنيط)[٥]غير ان القلقشندي اوردها بـ(قلورية)[٦]. ووردت عند آخر بلفظة (قورية)[٧].

وجاءت في المصادر الاوربية تحت تسمية (رؤوس الجبال) وسميت بـ(فركسيناتوم)[٨] [*]، أو (فراكسنتم)، بينما تذكرها روايات كنسية أخرى تحت اسم (فراشنديلوم)[٩]، كذلك وردت هذه التسمية (معقل فرحشنيط – فراكسيت) [١٠]، وعرفها اخر باسم (غابة فراكسيين)[١١]، ووردت ايضا تحت اسم (دويلة جبل القلال)[١٢].

٢. الموقع الجغرافي لجبل القلال:

مثلما تعددت الأسماء بالنسبة لجبل القلال، فقد تعددت الآراء بشأن موقعها، وهنا سنوضح أراء الجغرافيين حول موقعها فيذكرابن حوقل أنها من أعمال مدينة ميورقة[١٣]، والأخيرة تقع شرق بلاد الأندلس بالقرب من جزيرة منورقة[١٤]، حيث تحيط بها البحار من ثلاث جهات ، ومن الجوف برشلونة من بلاد أرغون فيحدها مجرى واحد، أما من جهة الشرق فجزيرة ميورقة، وبينها وبين البحر مجرى طوله ٤٠ ميل، وشرق ميورقة (سرذانية) وغربها يابسة[١٥]، وذكرها جغرافي آخر بقوله: بلاد واسعة من بلاد الافرنج بين القسطنطينية والخليج تأخذ على طرق بحر الخليج من محاذاة جبل القلال، وتمر على محاذاة ساحل المغرب مشرقاً إلى أن تتصل ببلاد قلورية"[١٦].

فيما قال سيسالم: أنه معقل يطل على خليج سان تروبيز "Trobez San"[*] في اقليم البروفانس[*] في مكان قرية تعرف حالياً باسم (غادر فرنيه)[١٧]. فيما ذكر آخر أنه لا يقع على خليج سان تروبيز، وإنما يقع على خليج (غويمو) جنوب إقليم البروفانس[١٨].

أما الحجي فقد قال إنها في جنوب شرق فرنسا في منطقة البروفاس وبالتحديد في شمال مرسيليا[١٩]، بينما هناك رأي يقول إنها شمال مدينة طولون[٢٠]، وهذه هي مجمل الآراء حول موقع الجبل، وسنناقش هذه الآراء حسب المفهوم العلمي الجغرافي الدقيق. إذ إن ارسلان ناقش تحديد ابن حوقل الذي وصفها في ميورقة[٢١]، فهو يقول: "إن جبل القلال بهذه الأوصاف التي وصفها ابن حوقل لا تنطبق إلا على الجبل المشرق في سواحل فرنسه على حدود ايطاليا"[٢٢].

ويبدو أن هذا الوصف لم يرق للباحث لذلك طرح موضوع فكرة تحديد الموقع لهذه البلادعلى (محمد الفاسي من آل الجد الفهريين في مدينة فاس في الاندلس) الذي أجاب عن هذا الموضوع من خلال مراجعته لكتاب (الخزانة العربية الصقلية) للمؤلف ماري بقوله: "دخل بعض قرصان الاندلس في أرض فرنسية في "خليج غريمنو"الذي يقال له – سانتروبيز –وأنشأوا لأنفسهم في – أخر الخليج– على قمة جبل معقلاً هائلاً ...فركيناتوم وتسمى القرية المبنية على سفوح الجبل – غادر فرينه – والغابة التي تحيط بالجبل اسمها آلان غابة المواري العرب"[٢٣].

ويتابع ارسلان تعليقه على رأي "الاصطخري" هناك بعض الجزائر في الاندلس مثل صقلية واقريطش وقبرص وجبل القلال[٢٤]، بقوله: "ان المراد بها أحد الجزر التي تحيط بها البحر... في وسط البحر إلى الغرب من صقلية يقابله المهدية[٢٥]. وتونس[٢٦] من جهة، وطرطوشة[٢٧] من الأخرى، وهذا الجبل المذكور يقع على مسافة أبعد إلى الغرب على علو مالقة والجزائر"[٢٨].

ثم نعود إلى كلام "الاصطخري" الذي يقول: "أما جبل القلال فإنه كان جبلاً فيه مياه خرارة فوقع إليه قوم من المسلمين فعمروه وصاروا في وجوه الافرنجة لا يقدر عليهم لامتناع مواضعهم ومقداره في الطول يومان"[٢٩].

وهذا النص يشير بوضوح إلى أن جبل القلال كان من توابع الأندلس فالأندلس هي شبه الجزيرة الايبرية جنوب غرب أوربا، لذلك هي تكون كتلة جسمية داخله في البحر تكاد تكون خماسية الشكل تصلها بالقارة سلسلة جبال البرانس[٣٠].

أما مؤرخو أوربا فإن لهم رأيا في موقع جبل القلال، فمؤرخي ايطاليا ومنهم" بونينو (Bonino) الذي يضعها في بروفس قرب جبال الألب، ومونمبر يزو (Monbrizio) يصفها وراء جبال الالب البحرية، وآخر يصفها بقرب ارال من خلال قوله "ان العرب نزلوا هناك (يقصد في جبال الالب) وفي فريجوس وانطيب التي جعلها العرب عين الطيب، وامتدوا الى قصر نيسه التي يقول : العرب عنها نيقية[٣١] والفرنسيين يسمونها نيس، الى مدينة سانريمو ومن هناك امتدوا الى مدينة البنغة (Albenga)، فيما ذهب كل من بينغوني PINGONE ودي بيني Debene ودلاشيزالا Dellachiesa ودور ندي Durandi وسيغتبرتو Sigeberto إلى القلال بقولهم إنهم نزلوا (أي المسلمين) في جبل اسمه جبل المسلمين ويعرف اليوم باسم جبل مورو[٣٢].

وهناك رأي (للمسيو جرمون Germond) كاتب العدل في مدينة سانتروبيز يقول فيه: "إنه كانت توجد غابة دردار في نفس الخليج على شاطئ البحر، وإنه كانت توجد قرية رومانية اسمها (فركسبيتو) احتلها العرب ثم هدموها واختاروا قمة من الجبل لإنشاء معقل لهم سموه (فركسينيت Fraxinet) وهذا المكان بنظر هذا الكاتب عبارة عن معقل أشبه بمخفر سبب بناؤه هو الإشراف على سهول البروفنسي السفلى، ولا يتعدى أكثر من ذلك كون مساحته لا تتعدى ثلاثمائة قدم وهي بالتالي لا تتسع لأكثر من مئة رجل وبالتالي فإن المعقل الذي يعول عليه العرب هو نصف فرسخ[*]، فوق جبل يقال له حديثاً (سيرة ميرمار).

أما (المسيو بوش صاحب تاريخ بروفنس فيقول: إن العرب اطلقوا اسم (فركسينيت) على حصون كثيرة شيدوها في كل من دوفيني وسافواي وبيبموت[٣٣].

على أن الأمر يزداد صعوبة إذا ما وقفنا على ما كتبه الباحث (محمد عبد الله عنان) الذي زار مناطق الأندلس واحدة تلو الأخرى ودقق أثارها وإذ ما ناقشنا ما طرحه ابن حوقل بقوله: إنها من أعمال ميورقه[٣٤]، فنرى أن الموقف يصبح في غاية الصعوبة لانه وصف ميورقه بشكل دقيق كونه عبر بالطائرة ورأى جميع جزرها، ووصف جزيرة منورقه التي ذكرها ابن حوقل ، فيما وصفها بأنها خليج على صورة قوس ووصف جميع أثارها لكنه لم يذكر أي شيء عن جبل القلال[٣٥].

ولكي نصل إلى نتيجة تاريخية صحيحة نقول إن جبل القلال يقع إلى منطقة البروفانس شمال طولون والتي يوجد فيها قلعة فراكسنيتوم والتي من المحتمل ان تكون الآن قرية كاروفرينة[٣٦]، وحتى نثبت هذا الرأي نعرج على وصف البروفانس تلك المقاطعة التي تقع جنوب فرنسا بين نهر الرون وسلسلة جبال الألب البحرية[٣٧]، وتشمل في الوقت الحالي بلاد الألب السفلى

ومصب نهر الرون وبلاد القارا وفوكلوز[٣٨]. وهنا يتم إشكال في غاية التعقيد الا وهو إذ ما رجعنا إلى قول ابن حوقل الذي يعتبر جبل القلال ضمن أعمال ميورقه[٣٩]، وهو أن ميورقه ضمن جزر البليار، التي عرفت عند الكتاب المسلمين باسم الجزائر الشرقية[٤٠]، والجزر الشرقية[٤١]، وجزائر بلاد شرق الأندلس[٤٢]. وتحت البليار احدى المديريات التابعة لاسبانيا[٤٣].

٣. نزول المسلمين في جبل القلال:

تعددت غارات المسلمين على جنوب بلاد غالة ووصلت حتى مرسيليا في سنة ٢٢٤هـ/٨٣١م وسنة ٢٢٨هـ/٨٣٥م و ٢٣٢هـ/م ٨٣٩ و ٢٣٤هـ/٨٤١م، وإلى مصب نهر الرون قرب مدينة ارل التي غنموا فيها وعادوا[٤٤]، وقد استغل المسلمون الوضع السياسي المضطرب لبلاد غالة بسبب الصراعات الداخلية التي كانت قائمة في زمن (شارل الأصلع)[٤٥] حيث دخلوا في بلاد غالة برا وبحرا ونزلوا في البرونافس وحاولوا الاستقرار فيها سنة ٢٨٣هـ/ ٨٦٩م[٤٦]. مما دفع شارل الأصلع لعقد صلح مع (الأمير محمد) أمير الأندلس سنة ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م من اجل إتاحة الفرصة لسكان غالة للتمتع بنوع من الاستقرار[٤٧]، بعدها أخذ المسلمون باستغلال الأوضاع بعد وفاة شارل الأصلع الذي بوفاته قام (الدوق بوزو) بإعلان نفسه ملكا على اكيتانيا سنة ٢٦٦هـ/ ٨٧٩م، لتشتمل مملكته كل من حوض نهر الرون ومن ارل إلى ليون، كذلك ثار (هيو) أحد زعماء الأديرة، لكن الإمبراطور (شارل السمين)[*] استطاع القضاء على ثورته لكنه توفي ليستغل (لويس بوزو) الوضع واستعاد جميع ما قام به أبوه واستقل بحكم بلاد البروفانس، وتزامن هذا الوضع السيئ مع وجود القوات الإسلامية في تلك المنطقة في هذا الوقت[٤٨]. من خلال استغلالهم الغزوات النورماندية والأحداث المضطربة وبدؤوا باستعادة مناطقهم التي فقدوها في إقليم سبتمانيا[*]، وبعد وفاة الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م) تجددت غارات المسلمين البحرية وتوغلوا في عهد الأمير المنذر (٢٧٣هـ-٢٧٥هـ/٨٨٠م-٨٨٢م) والأمير عبد الله (٢٧٥ – ٣٠٠هـ/٨٨٠م-٨٨٢م) في المناطق الجبلية المطلة على خليج سان تروبي جنوب غالة ووصلوا الى قمة جبل يشرف على جزء كبير من بلاد البروفانس الذي عرف باسم جبل المسلمين أو سلسلة جبال المسلمين[٤٩] .

وقبل الإسهاب في سبب نزول المسلمين في تلك المنطقة يجب أن نبين سنة نزول المسلمين في تلك المنطقة حيث ورد أنهم نزلوا سنة ٢٧٣هـ/٨٩٠م[٥٠]، وورد كذلك سنة (٢٧٥هـ/٨٨٨م)[٥١] وهناك من يذكر أنهم نزلوا سنة ٢٧٦هـ/٨٨٣م[٥٢]، بينما أشار السامرائي إلى أنها في سنة ٢٧٧هـ/٨٩٠م[٥٣].

وأورد أرسلان آراء لمؤرخين غربيين حول هذه المسألة إذ يقول إن المسلمين نزلوا سنة ٢٧٨هـ/٨٩١م، وسنة ٢٧٦هـ/٨٨٩م، وسنة ٢٧٨هـ/٨٩١م. بعشرين مركب صغير[٥٤].

وهنا يجب أن نبين سبب نزول العرب في تلك المنطقة الحصينة ويكون الجواب إنهم ادركوا أن البحر مفتوح أمامهم للإمدادات الخارجية إضافة إلى ذلك فإن البر من الداخل مهيأ للغارات الداخلية وبجانبهم الغابات الكثيفة للالتجاء إليها عند الحاجة، لذلك أخذوا يقيمون الحصون والمعاقل وبدأت الإمدادات تأتيهم من بلاد الأندلس وشمال أفريقيا ليقيموا بناء حصن فراكسنتيوم(٥٥). وعندما سمع المسلمون المقيمون خارج هذه المناطق بأن أخوتهم بدؤوا ببناء حصون في تلك المناطق حتى شرعوا بالذهاب لهم، وبدءوا يشكلون أعداد كبيرة من المسلمين في تلك المعاقل، واستطاعوا من خلال قواتهم ووحدات البحر أن يعززوا الأسطول الأندلسي الذي من خلاله نظموا سيطرتهم على غرب البحر في القرن الرابع الهجري/ التاسع الميلادي وأسسوا حصن فراكسنتيوم(٥٦). الذي ما انتهوا من بنائه حتى بدؤوا ا بشن الغارات في النواحي القريبة منها ليشهدوا عدداً من المواجهات الداخلية التي كان النزاع فيها حاميا(٥٧).

وقد ذكر المؤرخ (فريجوس) عن بداية استقرار المسلمين في منطقة البروفانس أن تاريخ المسلمين غامض فيما يخص نزولهم في منطقة البروفانس، وتدميرهم لمدينة فريجوس وتاريخ إعادة بنائها ويرى أن أوثق المراجع هو (جوزيف انتلن) صاحب (الجداول التاريخية) التي أورد فيها نقلاً عن أساقفة فريجوس انه في سنة ٢٧٧هـ/٨٩٠م أدرك المسلمون الذين أنزلتهم عاصفة بحرية الى ساحل فريجوس أهمية (بلدة فراكسينت) الحصينة وقاموا بغزواتهم وشيدوا (قلعة فراكسنيت) على مقربة من (خليج ساميرتيان) أي على مسافة ١٥ ميل من مدينة (فورم جوليبي) سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م حيث قاموا بتدميرها بالكامل واستولوا على جميع الأشياء الثمينة(٥٨).

ويرى سيديو حول هذا الوجود العربي ان العرب نزلوا سنة ٢٧٧هـ/٨٩٠م وانطلقوا منها نحو البروفانس معتمدين على عنصر المفاجأة ومستخدمين براعتهم الحربية وقدراتهم في التمويه والتضليل(٥٩) بينما يذكر ادوار بانتيه أن المسلمين في بداية القرن الرابع ٤هـ/ وأواسط القرن التاسع الميلادي قاموا بحملات تخريبية ضد بلاد البروفانس لكنهم لم يتمكنوا من إقامة رأس جسر على هضبة المور إلا في نهاية القرن الثالث الهجري– الثامن الميلادي مما دفع المجمع الملتئم في مدينة (فالانس لويس بن بوزن) بالاهتمام بهذه المنطقة(٦٠) وزاد نشاط المسلمين في بلاد البروفانس بين سنتي ٢٨٨–٢٨٩هـ/٨٩٥–٨٩٦م التي شهدت تولي (لويس الأعمى ٢٨٨–٢٨٩هـ/٨٩٥–٨٩٦م) لحملاته العسكرية إلى ماوراء جبال الألب بين سنتي ٣١٣–٣٣٤هـ/٩٢٥–٩٤٥م وهي الفترة التي ترك فيها (هوج دارك) البروفانس متوجها إلى ايطاليا من أجل مقاتلة (بيرانجه) ملك اللورمباردين الذي كان ينافسه على الزعامة وبعد أن وطد سلطته على ايطاليا حاول تطهير البروفانس وجبال الألب من العرب من خلال استعانته بالأسطول البيزنطي لأن الفرنجة لم يكن لهم أسطول في البحر، وبالفعل تمكن هذا الأسطول من فرض الحصار على قلعة فراكستيوم وقام هوج

دارك بواسطة جنده البروفسيين والبيمتونيتن من محاصرة المسلمين لكنهم توقفوا فجأة بسبب وصول أخبار مفادها ان (بيروني ويفري) ملك اللومبارد يسعى لخلع (هوج دارك) من عرش ايطاليا، لذلك انسحب وتفاوض مع المسلمين وسمح لهم باحتلال بعض معابر جبال الألب مقابل ان يساعدوه في حربه ضد بيرونجة[٦١].

٤. بداية توسع المسلمين من أراضي جبل القلال:

اصبح (معقل فرخشنيط) في جبل القلال والقواعد التي تتبع له في جزيرة كامرج وماجلون في إقليم البروفانس جنوب شرق بلاد الافرنجة عملا من أعمال ميورقة بعد فتح جزر البليار على يد (عصام الخولاني)[٦٢] سنة ٢٩٠هـ/٨٩٧م[٦٣]. التي كانت تخضع قبل الوجود الإسلامي إلى البيزنطيين وعندما امتدت حركة الفتوحات في أراضي الإمبراطورية أثارت انتباههم وبعد مساعي المسلمين حصلت هذه الجزر على نوع من الاستقلال، وعندما أنهى المسلمون الحكم البيزنطي في الشمال الشرقي الأفريقي أصبحت جزر البليار، تعتمد على نفسها في مواجهة القوى الإسلامية من خلال استغلال حاكم كل جزيرة بما يقع تحت يده من الأراضي[٦٤]، وهنا يتبادر إلى الأذهان السؤال عن كيفية نضج فكرة عبور جزر البليار وللاجابة عن هذا السؤال نقول ان فتوح العرب المسلمين "لجزر البليار" ولاسيما ميورقة ومنورقة تعود الى سنة ٨٩هـ/٧٠٨م[٦٥]، وارتبطوا بعهود ومواثيق مع المسلمين لكن عندما انهار الحكم الأموي في بلاد المشرق وطرحت على الأرض مسالة (عبد الرحمن الداخل) استغل سكان جزر البليار الوضع ونقضوا عهودهم وثاروا وهاجموا السفن والثغور[٦٦]، العربية من خلال تحالفهم مع الافرنجة بقيادة شارلمان، مما دفع المسلمين إلى تحصين دفاعاتهم في هذه الجزر التي قام سكانها بالتحالف مع الافرنجة لحمايتهم، لذلك أدرك المسلمون هذا الخطر وقاموا بشن هجوم سنة ١٨٥هـ/٨٠١م ضد جزر البليار وكانت هذه الهجمة بداية لاستقرار المسلمين هناك تم تبادل الهجوم بين أساطيل الأندلس وجزر البليار حتى ضعفت الإمبراطورية الكارولنجية مما دفع المسلمين لفتح جزر البليار مرة ثانية سنة ٢٠٥هـ/٨٢٠م وجددوا مع سكانها العهد لكنهم خرقوه مرة أخرى سنة ٢٣٤هـ/٨٤٨م بتحريض من الفرنجة والبابوية[٦٧].

ونتيجة لهذا النقض قام الأمير (عبد الرحمن الاوسط)[٦٨]، في سنة ٢٣٤هـ/٨٤١م أي نفس السنة التي نقضوا فيها العهد بارسال اسطول مكون من ثلاثمائة (٣٠٠) سفينة، وفتح أغلب جزر البليار وأعلن أهلها الطاعة وقبلوا الصلح وجددوه سنة ٢٣٥هـ/٨٤٢م[٦٩]، واستمرت العلاقات بين الطرفين جيدة بموجب العقد الموقع بين الطرفين[٧٠]، فضلاً عن وجود عدد من المسلمين الذين استقروا في تلك المنطقة. ويعود الفضل فيما بعد في فتح جزر البليار إلى (عصام الخولاني) الذي أقنع (الأمير عبد الله) بضرورة فتحها، لذلك أرسل معه عدد من الجنود من أجل فتحها، ووصلها سنة ٢٩٠هـ/ ٨٩٧م[٧١]، وحاصرها لأيام معدودة ثم حصنها إلى أن اكمل فتحها[٧٢]، وبعد هذه

السلسلة من النجاحات التي يعود الفضل الأكبر إلى منطقة قلعة فراكنستيوم توجه العرب إلى اجتياح غرب لمبارديا[٧٣] في شمال ايطاليا بعد عبورهم لاقليم (دوفيني) سنة ٢٩٤هـ/٩٠١م، ثم اجتازوا ممر (مونست سيني) الذي يعد أعظم ممرات جبال الألب، وقطعوا الاتصالات بين بلاد الافرنجة وايطاليا ورسخت اقدامهم في تلك الاقاليم[٧٤]، ويذكر عن سكان الدير الموجودين في تلك المنطقة انهم هربوا إلى مدينة (توزينو) وهم يحملون ذخائر القديسيين والأشياء الثمينة التي من جملتها كتب نفيسة وبقيت هذه الحالة إلى سنة ٣٠٤هـ/٩١١م لدرجة عدم سماح المسلمين لاحد بالمرور من هذا الطريق إلا بعد أخذ الأذن منهم، وهذا السبب نفسه دفع رئيس اساقفة اربونة، إلى عدم السفر إلى روما بسبب سيطرة العرب على هذا الطريق ثم أخذ العرب بشن هجوم على سهول بسيمونت ومونفرات، كل هذه الانتصارات دفعت عددا من العرب إلى النزول في سواحل لنغدوق بالقرب من ايغمورط[٧٥].

وفي مدة ولاية احمد بن محمد بن الياس للجزائر الشرقية (٣١٨-٣٢١هـ/٩٢٥-٩٠٦م) ازداد النشاط البحري لقائد اسطول فرخشنيط الذي كان يتبع لعامل جزر البليار ويتلقى منه العون[٧٦]، لكن يبدو ان هذا النشاط يعود إلى سنة ٢٩٤هـ/٩٠٦م لأن المسلمين في تلك الفترة وبالتحديد في تلك المنطقة عبروا الطرق المؤدية إلى مملكة برجندية[٧٧] التي كانت تضم كلا من الدوفيينة[٧٨] والهافوى واجزاء من المناطق التي تشكل اليوم مع غيرها سويسرا الحالية، ثم اجتازوا جبل جنيس مما دفع سكانها للهرب لمدينة سوز ومدينة بريا نسون لكن المسلمين لحقوا بهم وفتكوا باعداد كبيرة منهم مما دفع عددا من الباحثين لتسمية هذا المكان بساحة الشهداء[٧٩]، ثم استمر تقدم المسلمين من خلال القيام بحملات بحرية واسعة امتدت لتشمل كل من ثغور جنوة[*] ولوني وبيزة وأمالفي وجايتا وساليرنو نوبولي في غرب ايطاليا، وفريجوس ومرسيليا وطولون في جنوب بلاد الفرنجة، كذلك جزيرة سردانية وقرقسة، وهنا أصاب الموانئ الايطالية الكساد نتيجة الحروب مما دفعهم للاستعانة لمواجهة فرخشنيط، ولبى المساعدة فوراً طمعا في إعادة نفوذهم على ايطاليا وارسلوا اسطولا لتحقيق هذا الغرض لكنهم خسروا وتعرضوا لخسائر فادحة[٨٠].

وفي تلك المدة اعتلى عرش قرطبة (عبد الرحمن الثالث) الذي خاض حروباً كبيرة ضد بلاد الروم[٨١]، وصادف في عهده ثورة من قبل أحد المولدين[٨٢]، (عمر بن حفصون)، الذي استولى على حصن ببشتر، سنة ٢٦٧هـ/٨٧٤م[٨٣] مما دفع (حنشوغرسيه) ملك نابارواوردونة وملك ليون لاقامة حلفاً معه والاتحاد مع مقاتلي الفرنسيس ضد جيوش عبد الرحمن الناصر، إلا انه أرسل عمه الملقب الى ابـ المظفر وتمكن من هزيمتهم وقطع جبال البيرتات[٨٤] واكتسح جانباً كبيراً من بلاد غشقونية ووصل بواب مدينة طلوزة لكنه أصيب في إحدى المعارك مما دفع (غرسيه بن حنشو) لمهاجمة واسترداد جميع الغنائم[٨٥].

وكان المتولي في تلك المدة على جزر البليار (احمد بن محمد بن الطلياز)، ٣٢١-٣٢٢هـ/٩٣٣-٩٣٤م، إذ قام مقاتلته بالهجوم على قاعدته فرخشنيط على حوض الرون وبرغنوية من خلال اتباعهم اسلوب عسكري يشبه اسلوب حروب الثغور، وهو اعتمادهم على الفرق ذات التسليح الحقيقي حتى يكون ذا كفاءة عالية من خلال الهجمات السريعة وتكون القوة الرئيسة مختصة في موقع تتلقى منه الاسناد والدعم بشكل كامل من قاعدة فرخشنيط[٨٦]، وفي تلك المدة نشط الاسطول البحري البيزنطي في غرب البحر مما أزعج الفاطميين[٨٧]، ودفعهم لارسال اسطول سنة ٣٢٨هـ/٩٣٥م لتثبيت دعائمهم على مياه البحر التيرالي واغار على كل من سردينة وكورسيكا وجنوة واستطاع من احراق عدد كبير من السفن[٨٨]. كل هذه الاحداث في بلاد البروفانس ودوفيني وبلاد الآلب حولتها إلى خراب ودمار وفشلت كل محاولات المسيحيين في صد هجمات المسلمين[٨٩]، ومن الاحداث المهمة للعرب المسلمين اتخاذهم (فاليه) في جنوب سويسرا قاعدة للإغارة على المناطق المجاورة في كل من سويسرا وايطاليا حتى أواسط سويسرا حيث استولوا على (دير ريزنتي) الذي يعد من أشهر الاديرة السويسرية ليصلوا إلى جنيف عاصمة سويسرا[٩٠].

جاء بعد احمد بن محمد بن الياس ، احمد بن عمر، لجزر البليار ٣٢٢-٣٢٤هـ/٩٣٤-٩٣٦م، حيث ازداد النفوذ الفاطمي في حوض البحر المتوسط[٩١]، وقيامهم بهجوم بقيادة (يعقوب بن إسحاق)، بالهجوم على ثغور ايطاليا الغربية واقتحامهم مدينة جنوة، والاغارة على جنوب شرق بلاد الافرنجة التي كانت تتبع لعامل فرخشنيط، وأثناء عودته إلى قاعدته في المهدية قام يعقوب بن إسحاق بالهجوم على جزيرة سردينية ومرقرسقية[٩٢].

وفي هذه المدة كانت اساطيل جزر البليار وثغور شرق الاندلس في صراع دائم مع التهديد الفاطمي لاراضيها[٩٣]، مما أدى إلى توقف غارات اسطول فرخشنيط، على ثغور ايطاليا الغربية وجزيرة سردانية وبقيت في موضع تأهب لمواجهة الاساطيل الفاطمية التي وصلت بغاراتها إلى جنوب شرق بلاد الافرنجة التي تعتبر خط الدفاع الامامي لجزر البليار في معقل فرخشنيط لذلك انحسرت العلاقات مع امارات وممالك ايطاليا وجزيرتي سردينيه وقرمشة مع بلاد الاندلس، وعقدت مع تلك الامارات معاهدات سلام مع الخليفة عبد الرحمن الناصر من أجل التفرغ لمواجهة الفاطميين[٩٤]، وبعد فترة من الزمن شرع المسلمون بغاراتهم على سواحل بيدمونت ومونفرات ومدينة استى واكى، حتى وصلوا إلى حدود ليجوريا ودخلوا جنوة عنوة في سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م حيث نزلوا في سواحل لنغدوق، وبذلك اصبح العرب سادة المنطقة في جبال الالب وفي حدود فرنسا وايطاليا، وبدأوا بأخذ رسوما على القوافل المارة عبر جبال الالب، وبذلك نجحوا في تطويق بلاد الافرنجة من الجنوب والشرق، وجاء في (سيرة القديس ميول) في (مجموعة البولنديين) ان العرب وصلوا إلى كل من سيسترون وغاي وانبرون واحتلوا ثلاثة حصون ووصلوا إلى (بييمونت) و(مونفرات) والى حدود

ليغورية الواقعة على خليج جنوة ثم أغاروا على مدينة اكي إحدى مدن مونتفرات المشهورة بحماماتها[٩٥].

تولى في سنة ٣٢٧-٣٢٩هـ/٩٣٩-٩٤١م (محمد بن عبد الملك بن عبدوس) ولاية جزر البليار الذي كان يرسل العون والامدادات إلى عامل فرخشنيط التابع لعمل ميورقة ويرسل اليه التعليمات التي تصدر من عبد الرحمن الناصر حيث كان عامل فرخشنيط (نصر بن احمد) تابعاً لقائد جزر البليار وكان واجبه حسب التعليمات هي تأمين جميع القادمين إلى معقل فرخشنيط من شتى الاجناس[٩٦].

وفي سنة ٣٢٨هـ/٩٣٩م توغل العرب في منطقة (خان ادفو) وقاعدتها لوزان الواقعة على الشاطئ الشرقي لبحيرة كونستانس، ووصلوا إلى منطقة افانستي وسانت جل، وابنزل وسارجان وتوجبنرج وأعالي نهر الراين[٩٧]، بعد تلك الاحداث عقدت سلسلة من المعاهدات بين عبد الرحمن الناصر وملك لومبارديا على اثرها ازدادت جرأة المجاهدين المسلمين في فرخشنيط بسبب الاعتراف بهم من قبل (هوجو) ملك لومبارديا الذي انتصر على منافسه (بيرانجة) ويأتي هذا الاعتراف نتيجة الدعم الذي قدمه المسلمون إلى هذا الملك لذلك استقرت جماعة من هؤلاء المسلمين في نيس (الريفييرا الفرنسية) وفي حوض نهر الرون واستصلحوا تلك الاراضي ووفروا الاحتياجات للمقاتلين القادمين من جزر البليار وثغور الاندلس الشرقية وعدوة المغرب. لذلك بدأت تهب لمعقل فرخشنيط في جبل القلال والاقاليم التابعة لمواصلة الجهاد ضد الافرنجة[٩٨].

وبعد هذا الجمع من المعاهدات اطمأن مقاتلو جبل القلال من أي تهديد خارجي وتوغلوا بقوة إلى داخل سويسرا حتى حدود المانيا ونتيجة لهذا التوغل حدثت عدة اشتباكات ضارية مع الهنغاريين، الذين كانوا في هذا الوقت يهاجمون شرق سويسرا ودخلوا في اشتباك مروع مع المسلمين راح ضحيته كثيرين من المسلمين وفي النهاية تمكن المسلمين من وقف توغلهم إلى سويسرا وظلوا يسكنون مرتفعات جبال الالب[٩٩].

ونتيجة لهذه الاحداث واستنزاف قوات جبل القلال في هجوم ضد المجريين بادر الامبراطور (اوتو الاول)، إلى الحرب ضد المجريين وتمكن من ايقاع هزيمة ساحقة بهم على مشارف مدينة اوجزبرج، سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م في معركة (لنخفيلد). وبعد ان زال خطر المجريين وجه اوتو الاول جهوده لوقف توسع العرب عبر سويسرا[١٠٠].

ويبدو ان توجيه انظار اوتو لمعقل فرخشنيط هو السبب كونه مصعد خطو لحركة المواصلات والتجارة التي تربط فرنسا وايطاليا عبر جبال الالب[١٠١]. بعد هجوم قوات معقل فرخشنيط على جبال الالب قام الاباطرة وقادة الغرب المسيحي بالكتابة إلى (اوتو الكبير) الذي يعد أكبر عاهل غربي مسيحي في ذلك الوقت ورأى اوتو ضرورة وضع حد لهجوم المسلمين لانه خشي

ان ينفروا بما حققوه من نجاحات في كل من ايطاليا وسويسرا، وتخيل له انه من الممكن ان يهاجموا المانيا وخاصة انهم (أي المسلمين) وصلوا إلى أماكن تقع فيها ممتلكات لالمانيا. ورغم كل الامور لم يبادر اوتو إلى مهاجمة المسلمين الذين حذقوا حروب الجبال والمرتفعات وحروب العصابات وأدرك ان قتالهم بالقوات النظامية لن يعود بفائدة عليه. لذلك عول على الطرق الدبلوماسية والمفاوضات المتبادلة[١٠٢].

هنا ترد رواية للمؤرخ الالماني (ليتوبرايد Liutprand) الذي كان معاصراً للاحداث يقول فيها: "ان حصون المجاهدين الاندلسيين وقواعدهم في بلاد الافرنجة وايطاليا وسويسرا كانت تحت حماية الخليفة نفسه". لكن هذا المؤرخ نفسه يعود ويناقض نفسه بقوله "ان موضوع تلك السفارة[١٠٣] لم يكن سوى التوسط لدى الخليفة لوضع حد لغارات العرب في فرنسا وايطاليا". ويبدو من سير الاحداث ان هذه السفارة فشلت في تحقيق مهمتها الرئيسة إلا ان فوائدها كانت قيمة ومهمة في جوانب اخرى، فقد أسهمت في معرفة أفضل لبلاط الخليفة عن أحوال الامبراطورية الرومانية وثرواتها وقواتها ونظام الحكم السائد. وأن ربيع بن زيد لقي المؤرخ الالماني (ليتوبراند) وحثه على وضع كتاب في التاريخ يهتم بأخبار وحوادث العرب[١٠٤]. وهنا تتناقض روايات التاريخ مرة اخرى من خلال ورود رواية مفادها ان المؤرخ (ليتوبراند) اهدى إلى السفير الاندلسي (رثموندو) كتابه عن تلك الفترة أثناء قدومه إلى الامبراطور اوتو لاقناع الجرمان بعدم تبعية معقل فرخشنيط للخلافة الاموية في الاندلس ونتيجة لفشل جهود اوتو في كبح جماح المسلمين بالوسائل الدبلوماسية فقد توجه إلى الجانب العسكري من خلال مهاجمة فرخشنيط واستيلائه على لمبارديا في شمال ايطاليا وتعبئة السكان في حرب صليبية، ضد المسلمين[١٠٥].

واستمرت الهجمات ضد معقل فرخشنيط حيث تم أخراج العرب سنة ٣٥٣هـ/ ٩٦٠م من جبل سانبربار ومن القساوسة الذين اشتركوا في هذه المعركة القديس (برسنار دومنتون) الذي قام ببناء ملجأ في أعلى هذا الجبل[١٠٦]، تبعها اخراج العرب من ممرسان سنة ٣٥٤هـ/ ٩٦١م وبذلك فقدوا موقعاً مهما طالما جنوا بفضله الكثير من الاموال، وتحكموا من خلاله بسويسرا وايطاليا، وقطعوا من خلاله الصلة بين ايطاليا وما وراء الالب وبلاد اوربا، وفي سنة ٣٤٩هـ/٩٥٦م تم اخراج المسلمين من مدينة جرينول. ومن واديها الخصيب ويعزو المؤرخين المسيح الفضل الاكبر يعود لاساقفة المدينة الذين وقع على عاتقهم قتال المسلمين[١٠٧].

وجاءت الاحداث منسجمة مع ما يرجو (اوتو الاول) من خلال مقتل (القديس مايول) راهب مدينة كلوني ومقتل عدد من الحجاج والمسافرين، لذلك تضافرت الجهود من قبل الرهبان من خلال جمع مبالغ مالية كبيرة، لتمويل الحملة وجرت مفاوضات من أجل توحيد الكلمة واخراج المسلمين من جبال الالب والبروفانس وبالتحديد معقل فراكستيوم[١٠٨]، وانتشرت موجة من الروح

العارمة في جميع انحاء اوربا وعمت الثورة ايام (حكم المستنصر) شتى انحاء فرخشنيط[١٠٩]، وهنا حاول (الموفق) عامل جزر البليار من صد هجمات اوربا من خلال النص الذي أورده أحد المؤرخين "فجرى على سنن الموفق في جهاده"[١١٠] ، وفي سنة٣٦١هـ/ ٩٦٨م نادى الامبراطور اتون بجمع الشمل لاستئصال المسلمين من جبل القلال[١١١]، إلا ان الخلافة الاموية في الاندلس لم تكن جادة في مساعيها، إذ تمكنت القوة المسيحية من استئصال قوات جبال القلال المنتشرة في سويسرا ولمبارديا وغرنوبة وحوض الرون والبروفانس ووجهت الضربة القاصمة للقوات الإسلامية في معركة (تورتور). التي أبيدت فيها معظم القوات الإسلامية امام حشود الافرنجة والطليان، وفرضت الحصار على معقل جبل القلال بقيادة (غليوم كونت البروفس) وبذلك سقط معقل فرخشنيط[١١٢].

ويوضح المؤرخ (فرديناد) عملية سقوط جبل القلال بقوله "ان العمليات العسكرية ضد المسلمين انتظمت في منطقة دورونس العليا قرب مدينة سيتسرون من خلال ضم حاكم مدينة بوفران قواته إلى قوات (روبو) شقيق (غليوم) حاكم مدينة افينون وقام الاثنان بارتكاب مجازر شرسة بحق المسلمين إذ تم مطاردة الفارين من المسلمين حتى نهر بوشي وساس، وانصرف القادة الاخرون لتطهير مجرى النهرين ثم تم مهاجمة منطقة نيس وفيليفراش في قلعة فرانكستيوم، ثم توجه (غليوم وروبو) نحو فراكسينة الكبير بدافع من الثقة واثاروا الرعب في نفوس المسلمين الذين لم يولوا حراسة الابراج الشيء الكثير[١١٣]. وهناك من يرى ان أعداداً كبيرة من المسلمين اعتصموا في جبال الالب وظلوا يتصدون للفرنجة إلى ما بعد سنة ٣٩١هـ/١٠٠٠م[١١٤]، التي يباشر فيها مهمة المطاردة القائد (جرلدوس) وبهذا انهار السد المنيع بوجه قوات الفرنجة بدون تحرك من قوات الخلافة[١١٥] (*).

٥. الصراع بين الفرنجة ومسلمي جبل القلال:

اعتزم سادة الجنوب وعلى رأسهم (هوج ملك بروفانس) ان يبذلوا كل ما في وسعهم لسحق ذلك العدو المزعج وكان هذا أول صراع يقوم به الفرنجة بالهجوم على معاقل المسلمين إذ رأى هوج ان يبدأ بإفتتاح حصن فراكسنتم الذي يمتنع فيه المسلمون ليكون قاعدة لتأمين مواصلاتهم مع افريقيا وقاعدة للاغارة على الداخل فأول عمل قام به ملك بروفانس:

١- كتب إلى صهره امبراطور قسطنطينية يطلب منه اسطول من قاذفات النار اليونانية حتى يستطيع مهاجمة المسلمين من البر والبحر معاً فلبى نداؤه في سنة ٣٣٦هـ/ ٩٤٣م.

٢- تقدم هوج ملك بروفانس إلى معقل المسلمين اذ رسا الاسطول البيزنطي في مياه سان تروبييه.

٣- هجوم المسلمين من البر والبحر بمنتهى الشدة وأُحرقت سفنهم.

٤- نفذ هوج إلى حصونهم بعد قتال كبير ففر المسلمين إلى الاطام[١١٦]. والربى، حتى كاد يسحق سلطانهم في تلك الانحاء، لكن علم هوج ان خصمه ومنافسة بيرانجية تقدم، فعاد إلى ايطاليا ليجاريه في انتزاع العرش[١١٧].

٦. نتائج الصراع مع هوج ملك بروفانس:

١- عاد الملك إلى ايطاليا وصرف الاسطول فاضطر ان يعقد صلح مع العرب المسلمين بشرط ان يبقوا في رؤوس الالب وممراتها وان يغلقوا الطريق إلى ايطاليا في وجه خصمه.

٢- أما المسلمين فاستعادوا قلاعهم وسيادتهم في جنوبي بروفانس، فبعد هذه الحادثة ازداد جرأة العرب ونفحو عرفهم واستقرت قدمهم في البلاد وأصبحوا كأنهم سيلبثون ابديا في قلب اوربا فأخذ يتزوجون من بنات الاهالي، ويحرثون ويزرعون كسائر الفلاحين وكان أمراء النواحي يكتفون بأن يأخذوا منهم اتاوة خفيفة، وربما اعتضدوا بهم في بعض الأحيان، أما الذين كانوا في أعالي الجبال فقد كانوا يتقاضون عن المارين الأموال الفادحة، ويقتلون من يمتنع عن دفع ما يطلب منه، أما معبر (سان برفار الكبير) الذي كان يسمى (جبل المشتري) فهو يقع بين (فاله ووادي اوسط) وهو واسطة اتصال بين سويسرا وايطاليا فتمكنوا العرب من السيطرة عليه، وسيطروا على ولاية دوفينيه، ووادي الخطيب، وجريز بفودان[١١٨].

٧. مؤامرة كونراد ملك برجونيه لاهلاك المسلمين:

تذكر الرواية الكنسية قصة مؤامرة دبرها (كونراد) ملك برجوانيه لاهلاك المسلمين النازلين في املاكه في جوار حدود برجونيه والمجر الذين كانوا يشاطرونهم يومئذ الاغارة والعبث في تلك الانحاء، وذلك انه كتب للمسلمين يستحثهم وعين مكانا للقاء الفريقين، فالتقت الجموع المتنافسة من المسلمين والمجر، ونشب بينهما قتال هلك فيه كثير من الفريقين ثم أشرف كونراد بمجموعة، ومزق البقية الباقية من الفريقين قتلاً وأسراً، وتضع الرواية تاريخ هذه الموقعة في سنة ٣٤٥هـ/٩٥٢م ولكن لا تُعيين[١١٩].

٨. بداية الانهيار لمعقل جبل القلال:

في منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي أخذ نجم اولئك المسلمين المغامرين بلأفول وتضمحل سيادتهم في تلك الانحاء بعدما كانوا يحتلون كثيراً من مواقع سافوا، ويجوبون أنحاء سويسرا كلها طلباً للغنيمة والسبي وأنشأوا كثيراً من القلاع والابراج في شمال سويسرا[١٢٠]. حشد رئيس دير (سان جالن) حوله جمعاً من المقاتلين الاشداء وفاجئوا المسلمين في جوف الليل ومزقوهم قتلاً وأسراً وبذلك خفت وطأة الغزوات الإسلامية في شمال سويسرا، حيث ساقوا الاسرى إلى الدير فأبى هؤلاء ان يأكلوا ويشربوا فماتوا جوعاً، واثناء ذلك تغلب الالمان على المجر، وكسروا شوكتهم فاستنشقت سويسرا نسيم الفرج، ولكن البروفانس والدوفينو وجزءاً من جبال الالب بقيت

تحت طائلة العرب الذين كانت ترد اليهم الامدادات من البحر، لذلك قام الامبراطور (اوتون) حيث كان صريخ البابوية يتردد على أمراء اوربا بالسعي إلى مكامن هذا الخطر الداهم وكان اوتو الاكبر امبراطور المانيا أعظم أمراء النصرانية[١٢١]، يومئذ أنشد هؤلاء الامراء اهتماماً بالقضاء على خط المستعمرات الإسلامية، لانه يدنو من املاكه ويصيبها بشره[١٢٢]، لهذا نراه يبذل في هذا السبيل سعيه لدى عبد الرحمن الناصر زعيم الإسلام الروحي والزمني[١٢٣]، وأوفد اليه في سنة ٣٤٩هـ/٩٥٦م سفارات وبحث سفيره (يوحنا الجوزجيني) مع الخليفة مسألة اعتداء المستعمرات الإسلامية على أرض النصارى، والتمس اليه ان يعاون بنصحه ونفوذه على قمع هذا العدوان، ولكن هذا السعي لم يسفر عن أية نتائج عملية، إذ اعتذر الخليفة[١٢٤].

٩. محاولات أوتو لانهاء وجود المسلمين في الجبل:

استمر وجود المسلمين في (دوفينه وبروفانس) وكثيراً ما دعوا إلى التدخل بين سادة هذه الانحاء، ولما غزا الامبراطور اوتو بلاد اللومبارد واخرج منها ملكها بيرانيه ألتجأ ولده (ادلبرت) إلى عرب (فراكسنتيوم) ليعاونوه في استعادة ملكه، وكان هذا التحالف بين السادة والمسلمين يقوي سيادة الغزاة ويدعمها كلما أذنت بالانهيار، لكن هذه السيادة قد أخذت في الاضمحلال منذ فقد العرب معاقلهم في جبال الالب[١٢٥]. ففي سنة ٣٥٨هـ/٩٦٥م أخرج المسلمون من مدينة (جرينزبل) ومن واديها الخصب (جريز يفودان) وطوردوا في تلك النواحي وساءت أحوالهم وبعد عامين أعلن اوتو وهو في ايطاليا انه سيتولى طرد المسلمين من الاراضي النصرانية لكنه توفي دون القيام بمشروعه[١٢٦].

١٠. الحبر الكبير سان مايول واسره من قبل المسلمين:

حدث في ذلك الحين ان حبراً كبيراً ذائع الصيت، وهو (سان مايول) اسقف دير كلوني من اعمال برجونيه حج إلى روما ولما عاد من طريق دوفينه اسره المسلمون المرابطون في الجبال مع جماعة كبيرة من الحجاج، واشترطوا عليه فدية كبيرة، دفعت بعد عناء، واطلق سراح (سان مايول)، وأذكى الحادث حماستهم وسخطهم وذاعت قصة اسرهم وما يعانيه الحاج من شر المسلمين وعدوانهم، فنهض سيد من سادة تلك الانحاء يدعى (بوبون) أو (بيفون) وانتهز فرصة الحماسة العامة وجمع حوله كثيراً من المقاتلة وبنى حصن سترون على مقربة من حصن كان يملكه المسلمون، ولبث يتحين الفرصة لمفاجأة العرب والاستيلاء على حصنهم، حتى استطاع ذات يوم ان يحمل بعض الحراس على فتح الابواب فتمت الخيانة وباغت المسلمين في حصنهم وقضوا عليهم قتلاً وأسراً سنة ٣٦١هـ/٩٧٢م[١٢٧].

١١. غليوم كونت بروفنس ودعوته للقضاء على المسلمين:

(معركة توتور وسقوط جبل القلال)

في هذا الوقت الذي أنهارت فيه معاقل المسلمين ظهر زعيم يدعى (جيوم) أو (غليوم) الذي التف النصارى في دوفينه حوله وهاجموا المسلمين في جميع مراكزهم ومزقوهم في كل ناحية، وبهذا انهارت سيادتهم في دوفينه ولم تبى إلا في بروفانس، ولما قوي جيشه وكثر جمعه بسط نفوذه على بروفانس، وتلقب بألقاب الإمارة واعتزم ان يخرج المسلمين نهائياً من تلك الاراضي فدعا السادة لمعاونته ومنهم كونت نيس ورأى المسلمون ان العاصفة تنذر قرب اجتياحهم من كل ناحية فوقعت معركة هائلة في (توتور) فهزم المسلمون وارتدوا إلى قلاعهم ولاسيما (فراكسنيه) التي غدت ملاذهم الاخير فطاردهم النصارى أشد مطاردة حتى انهم لحقوهم وأمعنوا فيهم قتلاً وأسراً والبعض بقي في المزارع يعمل والبعض تنصر وبقي نسلهم في تلك الأرض زمناً طويلا وهكذا سقط حصن فراكسنيه (جبل القلال) بعد ان ظل ثمانين سنة[١٢٨].

١٢. أثر سقوط معقل (حصن) جبل القلال:

أخذ الباقون من المعركة اسرى وجميع من وقع في الاسر واستسلم من المسلمين عفوا عنه كما انهم لم يقتلوا المسلمين الذين كانوا ساكنين في القرى المجاورة ومن هؤلاء من تنصر واندمج في الاهالي ومنهم من بقي مسلماً ولكنه اصبح رقيقا مستخدماً، إما في اراضي الاديار أو في اراضي الزعماء، لذلك فان الحصن لابد ان يكون مليئا بالاموال والنفائس، فوزع الكونت غليوم صاحب بروفنس تلك الاموال على المشاركين بالمعركة كذلك استولى على كثير من الاراضي من قبل الكنيسة لأن رجال الدين المسيحي تهدمت الكثير من بيوتهم فنال اساقفة فريجس ونيس نصيباً كبيراً من الاراضي التي كانت بأيدي المسلمين وفي طولون وقع نزاع بين الاهالي على الاراضي، لكن غليوم وزع الاراضي لذلك اطلقت عليه لقب (ابي الوطن) وفي سنة ٣٦٥هـ/ ٩٧٦م سقط الحصن ولم يبق للمسلمين أي أثر[١٢٩].

١٣. الجانب الديني:

وصف ابن حوقل هؤلاء المسلمين "بالمجاهدين"[١٣٠]، بينما ذكر السامرائي واخرون بأنهم "جماعة من المجاهدين الاندلسيين"[١٣١]. الذي لم يكن لهم مقصد سوى نشر دين الإسلام واخضاع فرنسا وكل اوربا لاحكام القرآن، ولكن فيما بعد ذلك دخل في تلك الغزوات مقاصد اخرى، ومن هذا القبيل نزول العرب في آواخر القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي في أرض بروفنس فكان المسيحيون في ذلك العصر مستسلمين للاقدار يعتقدون ان غزوات العرب لبلادهم انما عقاب من الله تعالى للبشر على خطاياهم فكانوا راضين بما قدره الله عليهم لا يحاولون دفع ما نزل بهم ولم ينهضوا في اوربا لاستعمال الوسائل البشرية الكفيلة بدفع الاذى عنهم إلا في ايام الحروب الصليبية[١٣٢].

وتؤكد المصادر ازدياد مركز المجاهدين في فرخشنيط رسوخاً[١٣٣]، ففي الوقت الذي عرفناهم بأنهم المجاهدين نجد الروايات النصرانية تصفهم بالوحشية ودفعهم بالحرص الشديد على المغانم، فينبغي الفطنة إلى أكثر هذه الروايات التي هي من صنع اولئك المؤرخين المتعصبين تجاه العرب والمسلمين الذين تركوا للنصارى حريتهم الدينية وان السواد الاعظم من أهل اربونة مثلاً بقوا مسيحيين وكان عددهم كبير فتركوا لهم كنائسهم. كما ان النصارى كانوا يراعون شعور المسلمين، فيختنون اولادهم ولا يأكلون لحم الخنزير[١٣٤].

وقد زعم رينو ان المسلمين اضطهدوا النصارى في سبتمانية واستولوا على كنائسهم ولم يستند في ذلك إلى دليل مباشر أو غير مباشر[١٣٥]. فالعمليات العسكرية لم تكن موجهة ضد النصرانية ولا ضد أي دين سماوي أخر اعترف به الإسلام وكرم رسله[١٣٦].

١٤. الحركة الفكرية والثقافة الإسلامية وأثرها في أوربا:

ان تأثير الادب العربي في الأمم الساكنة في جنوبي اوربا نجده في لغة الاوك التي كان يتكلم بها أهالي جنوبي فرنسا وكتلونية إذ أقام هناك العرب طويلاً ودخل في اللغة الفرنسية كلمات كثيرة من العربية لأمرائها وهذا الاختلاط في اللغات وقع أيام وجود العرب في فرنسا بل وحتى عند جلائهم عنها، لأن العلاقات لم تنقطع بين العرب والفرنسيين في يوم من الايام، حتى اصبحت لفظة (سرازينولفظ روماني) كانهما واحدة وكانوا ينسبون إلى العرب كل ما يرونه كباراً أو جباراً وكان لا يحتفل بعيد ولا بموسم إلا اندفع أولئك الرواة في انشاد تلك القصائد عن سير ابطال الوطن وكانت تدور على حروب المسلمين[١٣٧].

ومن الاسماء العربية في البلاد الاوربية هي فاله ومن معابرها الماجل الذي يعني الماء في أصل الجبل وكذلك معبر (مورو) نسبة إلى جبل مورو و (مثلجة على العين) ومشابل وتعني الاسود وقمة المورو ووادي انزه، أما في سويسرا فنجد(برج العرب) فوق شيزاي وحائط العرب والسارازين تعني العرب وهناك اسماء اسوار وطرق كهوف عربية. وقد أخذ الكثير من المسيحيين باللغة العربية منذ ايام الفتح الإسلامي فهذا رئيس دير كلوني عمل اول ترجمة لاتينية القرآن وبدأ يكتب الردود على دين الإسلام وتبعه مؤلفون كثيرون من النصارى[١٣٨]، كذلك من تأثيرات اللغوية التي تبادل بها الطرفان وهي المصطلحات العربية الشائعة في كل من ليون وقشتالة ونافار والتي شملت اسماء انهار وظواهر جغرافية واسماء فاكهة والوان وملابس تُعد الاشعارات اللغوية أفضل الوثائق التاريخية لأنها تبرز الاشعاع الحضاري الحقيقي الذي سلطته الإسلامية على اسبانيا المسيحية وهي أكثر الادلة افصاحاً على سيادة العرب الثقافية [١٣٩]. ان استقرارهم بعد غزواتهم الاولى في بروفنس ودوفيني وليمونت وسفوالي وسويسرا[١٤٠]. فقد شيدوا لأنفسهم في بعض تلك

البلاد العمائر المختلفة من مساجد وقلاع وقصور كما أنشاوا بعض الصناعات وقد ضاع الكثير من معالم حضاراتهم ولم يبق منها إلا القليل وقد تاثرت الفنون المحلية بالفن الاسلامي[١٤١].

وفي الالب اليوم عدد من القلاع والاسوار التي يقول الادلاء للسياح انها ترجع للفتح الإسلامي، وفي سويسرا أماكن وردت اسماؤها في دليل يذكر انها من أصل عربي [١٤٢].

١٥. الحياة الاقتصادية:

يقول ابن حوقل: "لجبل القلال... عمارة وحرث ومياه وأراضي تقوت من لجأ إليها فلما وقع اليه المسلمون عمروه..."[١٤٣].

من الموارد الاقتصادية :

١. الضرائب والزراعة فكانوا يأخذون من السابلة رسوماً على المرور والمواد والوادعون منهم يشتغلون بالفلاحة والزراعة وربما ادو الضرائب عن محصولاتهم إلى امير البلاد التي كانوا فيها[١٤٤]، ثم أغلق المسلمون طريق الالب إلى ايطاليا وكان يمر بها كل عام الوف من الحجاج الذين يقصدون إلى روما واقتضوا منهم الضرائب ليسمحوا لهم المرور، ومن الحقائق التي لا شك فيها أثر المسلمين في الزراعة فقد راينا ان كثيراً من الغزاة تخلفوا عن اخوانهم واستقروا في تلك الأرض وزرعوها، ومن المعروف ان العرب ونقلوا اليها مختلف الغرائس من المشرق وأنشأوا بها القناطر العظيمة وقد حمل هؤلاء الغزاة المغامرون إلى جنوب فرنسا الكثير من خبرتهم الزراعية ولقنوها لسكان تلك الانحاء، ويقال ان (القمح الاسمر) إذ يعتبر الان من أهم محاصيل فرنسا هو من مخلفات العرب وهم الذين حملوا بذوره وكانوا أول من زرعها في فرنسا والمرجح أيضاً انهم هم الذين حملوا فسائل النخيل من اسبانيا وافريقيا إلى شواطئ الريفييرا[١٤٥].

ومن فنون الصناعة في استخراج القطران التي تطلى به قاع السفن ويحميها من العطب فهم الذين علموه لأهل بروفانس، أما من ناحية فضل العرب في تحسين الخيول في تلك الانحاء لاتزال في جنوب فرنسا جهات تشتهر بجمال خيولها ونبل اروقها ولاسيما في سكاه في مقاطعة (لاند) وهي سلالة الخيول العربية[١٤٦].

فلم يكن مقام العرب في فرنسا خالياً من تأثير طرق الزراعة فإن هؤلاء القوم لم يحلو في مكان إلا طبقوا الأرضي بالعمل فنشاهد تلك البساتين المنقطعة النظير في مرسيه وبلنسيه ويقال بأن العرب الذين نزلوا في بروفنس هم الذين بدأوا في استثمار شجر البلوط[١٤٧].

٢. الخراج وهو من المصادر الاقتصادية للمسلمين في فرنسا إذ كان الخراج المفروض على أرض المسلمين هو عُشر المحصول بخلاف المسيحيين فيدفعون الخمس أي ضعف خراج المسلمين وكانوا المسيحيين يدفعون عدا الخمس جزية كان يتقاضاها المسلمون من المسيحيين في مقابلة

محافظتهم على دمائهم واموالهم وامتاعهم بحريتهم الدينية اما من اسلم من المسيحيين فكان معفيا من الجزية[١٤٨].

الخاتمة:

جاءت صفحات البحث بقراءة تاريخية للنصوص وتحليلها للوقائع والأحداث التأريخية، تمثلت برؤية المؤرخين القدامى والباحثين المعاصرين عن وصول العرب المسلمين لجبل القلال (جنوب فرنسا)، فيما كشفت الدراسة عن الموقع المميز لجبل القلال الذي أثار جدلاً بين المؤرخين والباحثين إذ ذكر ابن حوقل (ت٣٦٧هـ) أنها من أعمال ميورقة، أما الحموي (ت٦٢٦هـ) يشير إلى أنها تقع شرق بلاد الأندلس بالقرب من جزيرة منورقة.

إمّا مؤرخو أوربا فكان لهم رأي آخر في الموقع إذ أطنبت الروايات المسيحية في ذكر هذا الموقع معتمدة على سجلات الكنائس والأديرة في تلك المنطقة، وبذلك نصل إلى نتيجة تأريخية بالقول أن جبل القلال يقع إلى منطقة البروفانس شمال طولون والتي يوجد فيها قلعة فراكسنتيوم، وبهذا فإنه يشكل موقعاً جغرافياً مهماً.

ومن خلال الدراسة وجدنا تسميات عدة لدويلة جبل القلال، فهي تذكر أحياناً بجبل القلال وأخرى بـ"فرخشنيط" و"فراكسنتيوم"، و"غابة فراكسسيين"، و"قلورية".

في حين شهد بداية توسع المسلمين في أراضي جبل القلال التي كانت خاضعة قبل الوجود للبيزنطيين، عدّة مواجهات، ثم رأينا صراع المسلمين ودورهم في دويلة جبل القلال ضد الفرنجة وما نتج عن الصراع مع هوج ملك بروفانس ثم صراعهم مع النصراني أيمون.

بينت الدراسة أن مسلمي جبل القلال استطاعوا أن يثبتوا سيطرتهم على جبل القلال من خلال نشاطهم السياسي والاقتصادي والديني والثقافي المتمثل بنشر الوعي الفكري فضلاً عن الحالة الاجتماعية.

وعلى الرغم من ازدهار دويلة جبل القلال لمدة من الزمن (ثمانين عاماً) فقد كانت هنالك نقاط قد شكلت ضعفاً كبيراً وكانت بداية لسقوط جبل القلال ومنها مؤامرة كونراد ملك برجونية التي كانت لإهلاك المسلمين، مما جعلها أن تكون خارج تبعيتهم، ويبدو أن هذا الإخفاق السياسي، والانهيار العسكري أحد أهم الأسباب لسقوط دويلة جبل القلال بعد صمودها.

الهوامش والمصادر :

(١) القلال: قله كل شيء رأسه والقله أعلى الجبل، وقلة كل شيء أعلاه، وقلالة الجبل كقلتة، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد (ت٧١١هـ/١٣١٧م): لسان العرب، دار صادر، ط٢، (بيروت– ٢٠٠٥) ٥٣٦/١١. مادة (قلا).

(٢) جبل القلال: هو قريب من مدينة رومية من العرب، وهو جبل يقال أنه لم يستطع أحد الوصول إليه لشدة ارتفاعه وفيه الصيد والخشب والحطب، ينظر: مؤلف مجهول، (ت في حدود ٣٧٢هـ/٩٨٢م)، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تح: يوسف الهادي، (القاهرة – ١٩٩٩) ص٢١.

(٣) ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي (ت٣٦٧هـ/٩٧٤م)، صورة الأرض، مطبعة ليدن (بريل– ١٩٣٨) ص٢٠٤؛ الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م): المسالك والممالك، مطبعة ليدن (بريل – ١٩٢٧) ص٧١.

(٤) شهاب الدين أبي عبد الله (ت٦٢٦هـ/ ١٢٣٣م): معجم البلدان، دار صادر (بيروت– ١٩٩٨) ٤٢٠/٥.

(٥) ابن حيان، أبو مروان بن خلف القرطبي (٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م): المقتبس في أنباء أهل الأندلس، تح: عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة (بيروت – ١٩٩٦) ٤٥٤/٥.

(٦) القلقشندي، أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الأنشا، دار الكتب المصرية (القاهرة – ١٩٢٢) ٢٣٥/٣.

(٧) الحميري، أبو عبد الله الصنهاجي (ت٧٥٠هـ/١٣٤٩م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، (بيروت– ١٩٧٥) ص١٠٧.

(*) جبل القلال أو حصن فراكنسيوم المشتق من اسم شجر كثير في تلك الجهات، لذلك فإن هذا الحصن كان قرية في غارد قرينة التي تقع في ذلك جبال الألب، ينظر: أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص٢٠٩–٢١٠.

(٨) أرسلان، شكيب، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، منشورات دار الحياة (بيروت – ١٩٦٦) هامش ص٢١١.

(٩) عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس(الخلافة الأموية والدولة العامرية)، ط٤(القاهرة– ١٩٩٧) ص٤٢٥.

(١٠) سيسالم، عصام ناجي سالم، جزر الأندلس المنسية (التاريخ الإسلامي لجزر البليار ٨٩–٦٨٥هـ)، دار العلم للملايين (بيروت – ١٩٨٤) ص١٠٩.

(١١) حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط٢ (القاهرة – ١٩٨٢) ٢٤١/٣.

(١٢) السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، جامعة الموصل (الموصل– ١٩٨٦) ص٤١٠.

(١٣) صورة الأرض، ص٢٠٤.

(١٤) الحموي، معجم البلدان، ٢٤٦/٥.

(١٥) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص١٢٢.

(١٦) الحموي، معجم البلدان، ٢٧٣/١.

(*) أشار المؤرخون الفرنسيين في خليج (Saint Trappez) على أن لهذا المكان أهمية كبيرة لكونه يشكل حلقة الوصل والطريق الذي يربط بين فرنسا وإيطاليا، ينظر: بروي، أدوارد، وآخرون: تاريخ الحضارات العام، نقله إلى العربية: يوسف اسعد داغر (بيروت– ٢٠٠٦) ١٧٤/٣.

(*) مقاطعة البروفانس (Provance): تقع شمال بتسمانيا إلى الشرق وعاصمتها بينون (Avignon) على وادي رودنه (نهر الرون Rhone). ينظر: الحجي، عبد الرحمن علي: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (٩٢–٨٩٧هـ)، دار القلم (دمشق – ٢٠١٠)، ص٢١٣.

(١٧) جزر الأندلس المنسية، ص١٠٩.

(١٨) حسن، تاريخ الإسلام، ٢٤١/٣.

(١٩) التاريخ الأندلسي، ص٣٣٣.

(٢٠) السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم، ص٤١٠.

(٢١) صورة الأرض، ص٢٠٤.

(٢٢) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، هامش ص٢١٠.

(٢٣) المرجع نفسه، ص٢١١.

(٢٤) المسالك والممالك، ص٧١.

(٢٥) المهدية: مدينة بأفريقية بقرب القيروان، اختطها المهدي المتغلب عليها، ينظر:القزويني، آثار البلاد، ص٢٧٦.

(٢٦) تونس: مدينة كبيرة محدثة في أفريقيا على ساحل بحر الروم عمرت من أنقاض مدينة كبيرة قديمة بالقرب من قرطاجنة، وكان اسم تونس ترشيش، ينظر: الحموي، معجم البلدان، ٧٠/٢.

(٢٧) طرطوشة: قال الحموي: مدينة بالأندلس تتصل بكورة بلنسية وهي شرقي بلنسية وقرطبة، معجم البلدان، ٣٠/٤.

(٢٨) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، هامش، ص٢١٢.

(٢٩) المسالك والممالك، ص٧١.

(٣٠) للمزيد ينظر: كولان، ج.س: الأندلس: ترجمة: إبراهيم خورشيد، عبد الحميد يونس، حسين عثمان، دار الكتاب اللبناني (بيروت– ١٩٨٠) ٦١/٢–٦٢.

(٣١) نيقيه: وهي من أعمال استنبول وهي المدينة التي أجمع بها آباء الملة المسيحية، ينظر: القزويني، زكريا بن محمد (ت٧٣٢هـ/ ١٣٣٩م): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر (بيروت– ٢٠١١)، ص٦٠٨.

(٣٢) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، هامش، ص٢٠٩، ص٢٠٩.

(*) فرسخ: ثلاثة أميال، والميل ألف باع، والباع أربعة أذرع شرعية، هنتس، فالتر: المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي (عمان – د.ت)، ص٩٢.

(٣٣) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص٢١٤–٢١٥.

(٣٤) صورة الأرض، ص٢٠٤.

(٣٥) الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال (القاهرة– ١٩٩٧) ص١٢٦.

(٣٦) الحجي، أندلسيات، دار الإرشاد (بيروت– ١٩٦٩) ص٤٨.

(٣٧) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص١٦٠.

(٣٨) المرجع نفسه، ص٢٩.

(٣٩) صورة الأرض، ص٢٠٤.

(٤٠) ابن حيان، المقتبس، ٣٢٤/٥.

(٤١) ابن عذاري، أبو العباس أحمد (ت٧١٢هـ/ ١٣١٩م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج. س، كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة (بيروت – ١٩٨٣) ٢٠٨/٣.

(٤٢) وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة (بيروت– ١٩٧١) ٢٤٢/١.

(٤٣) للمزيد من المعلومات حول صحة ما ذهبنا إليه، يراجع عن الفتوحات العربية في جنوب فرنسا، ينظر: ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن (ت٢٥٧هـ/ ٨٧١ م)، فتوح مصر والمغرب، تح: عبد المنعم عامر، (القاهرة – ١٩٦١) ص٨٣–٨٤؛ ابن قتيبة، ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ/ ٨٧٩م) الإمامة والسياسة، تح: محمد طه الزين، (حلب– د.ت) ٦٦/٢–٦٨؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، تح: عبد القاهر بوباية، (بيروت– ٢٠٠٧) ص٢٥٦؛ المطرزي، أبو الفتح ناصر الدين (ت٦٢٦هـ/ ١٢٣٥م): المغرب في ترتيب المغرب (دمشق– ١٩٠٩) ص١٧١ .

(٤٤) مؤنس، حسين: تاريخ المسلمون في حوض البحر المتوسط، الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، الدار المصرية اللبنانية، (بيروت– ١٩٩٣) ص١٢٩.

(٤٥) شارل الأصلع: هو شارل بن لويس التقي (٢٢٦_٢٦٨هـ/ ٨٤٠– ٨٨١م) الذي كان في آخر عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦–٢٣٨هـ/ ٨٢٢–٨٥٢م) وكان في عهده قد هاجم المسلمون أقليم البروفانس وفرضوا سيطرتهم على منطقة كاموغ. ينظر: أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص٢٠٥.

(٤٦) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص١٥٨.

(٤٧) طرخان، إبراهيم، المسلمون في أوربا في العصور الوسطى، مطبعة العرب (القاهرة – ١٩٦٦) ص٢٠١–٢٠٢.

(*) شارل السمين: هو شارل الذي حكم (٢٦٨–٢٧٤هـ/ ٨٨١–٨٨٧م) ملك الفرنجة وحفيد لويس بن لويس بايوس والذي تمكن من القضاء على بوزو (Boso) وبقي محاصراً في منطقة فين.

Deanesly, M, A, history of early, meadievl Eurpe, p. 461.

(٤٨) عاشور، سعيدعبد الفتاح، أوربا في العصور الوسطى (القاهرة –١٩٨٧)، ٢٤٨/١–٢٤٩.

(*) مقاطعة ستمانيا وعاصمتها أربونة وقرقشونة واحدة من مدنها، تقع المقاطعة جنوب فرنسا وشرقيها على شاطئ المتوسط، ينظر: الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٢١٣.

(٤٩) مؤنس، المسلمون في حوض البحر المتوسط،، ص١٣٠.

(٥٠) عنان، دولة الإسلام، ٤٢٥/١؛ الحجي، أندليسات، ص٤٧.

(٥١) سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص١٠٩.

(٥٢) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص١٦١.

(٥٣) تاريخ العرب وحضارتهم، ص٤١٠.

(٥٤) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص١٦١.

(٥٥) طرخان، المسلمون في أوربا، ص٢٠٤.

(٥٦) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص٢١٥.

(٥٧) المرجع نفسه، ص٢١٥.

(58) J. A. Aubwanas, History de frehus, pp. 260-261.

(٥٩) ل. أ. تاريخ العرب العام، ترجمة: عبد الله الشيخ، الدار الأهلية (الأردن- ٢٠٠٢) ص١٨.

(60) Edaward Baratier, History del laprovince, pp. 180-189.

() Codera, Navbona, Grona abaveelona critics de la historia arabe, espanolem VIII, p. 3.7.

(٦١) عصام الخولاني: وهو قائد فتحت على يده ميورقه سنة (٢٠٩هـ/٨١٥م) وذلك أنه خرج حاجاً في سفينة اتخذها لنفسه فعصفت بهم الريح فأرسو بجزيرة ميورقه وطال مقامهم هناك، ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/ ١٤١٤م): تاريخ ابن خلدون (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)،(بيروت- د.ت)، ١٦٤/٤.

(٦٢) سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص٤٦.

(٦٣) المرجع نفسه، ص٤٦-٤٧.

(٦٤) ابن خياط، ابو عمرو بن أبي هبيرة (ت٢٤٠هـ/ ٨٤٧م): تاريخ خليفة بن خياط، تح: أكرم ضياء العمري، دار القلم (دمشق- ١٩٧٧) ص٣٠٢.

(٦٥) الثغور: كل موضع قريب من أرض العدو يسمى ثغراً كأنه مأخوذ من الثغرة، وهي الفرجة في الحائط، ابن منظور، لسان العرب، ١٠٣/٢، مادة (ثغر).

(٦٦) ابن حيان، المقتبس ، ص٣٥٨.

(٦٧) عبد الرحمن الأوسط: هو الخليفة عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢١-٧٥٢م) الذي أمر عماله بتعمير وبناء الكور، وكان قد أمر عامله جابر بن مالك بين لبيد ببناء وتعمير مدينة مرسية في ربيع الأول (٢١٠هـ/ ٨٢٥م)، ينظر: العذري، أحمد بن عمر بن أنس (ت٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م): ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تح: عبد العزيز الأهواني (مدريد – ١٩٦٥) ص٦.

(٦٨) ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٩/٢.

(٦٩) سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص٨٧.

(٧٠) مؤنس، المسلمون في حوض البحر المتوسط، ص١٢١.

(٧١) إبن خلدون ، تاريخ إبن خلدون، ٤/ ٢١٠.

(٧٢) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٦٧.

(٧٣) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ٢١٠/٤.

(٧٤) سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص١١٠.

(٧٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١١٥.

(٧٦) المصدر نفسه، ص١٥.

(٧٧) برجنديه: وهم من الجرمان الشرقيين وقد شقوا طريقهم من موطنهم بوادي نهر الماين إلى نهر الراين الذين بلغوه في نهاية القرن الرابع وأتخذوا (فورمز) حاضرة لهم، ينظر: العريني، الباز، تاريخ أوربا في العصور الوسطى (بيروت – د.ت) ص٩٣-٩٤.

(٧٨) الدوفيينه: قال أرسلان أنها مقاطعة في شمال بروفانس وغربي سافوا وشرقي ليون، للمزيد ينظر: تاريخ غزوات العرب، هامش ١٣٧.

(٧٩) سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص١١١.

(*) جنوة، مدينة بالأندلس، الزبيدي، محب الدين أبو فيض (ت١٢٠٥هـ/١٨١٢م): تاج العروس من جواهر القاموس، تح: علي شيري، دار الفكر (بيروت –١٩٩٤) ٢٩١/١٩، مادة (جنو).

(٨٠) سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص١١١.

(٨١) ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك التوزري (٥٧٦هـ/١١٨٣م): تاريخ الأندلس لأبن الكردبوس ووصفه لابن الشباط، تح: أحمد مختار العبادي، (مدريد –١٩٧١) ص٨٥.

(٨٢) المولدين: لغة: تولد الشيء حصل عنه، ابن زكريا، ابو الحسن أحمد (ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م) معجم مقاييس اللغة، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت – ٢٠٠٨) ٦٤٦/٢، مادة (ولد). أما اصطلاحاً: فقد اختلف فيهم الباحثين إذ يقول السيد عبد العزيز سالم: أنهم جيل من الأبناء الذين ولدوا من آباء مسلمين سواء كانوا عرب أو بربر وأمهات أعجميات سواء كن إسبانيات أو غير ذلك ونشأوا على الإسلام، ينظر: تاريخ المسلمين وآثارهم من الفتح حتى سقوط الخلافة بقرطبة (القاهرة – ١٩٨٦) ص١٢٨.

(٨٣) ابن القوطية، أبو بكر محمد (ت٣٦٧هـ/٩٧٤م): تاريخ افتتاح الأندلس، تح: عبد الله أنيس الطباع (د.م – ١٩٥٨) ص٩٠؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ١٩٢/٤.

(٨٤) جبال البيرتات: البرت، كلمة لاتينية Portis تعني الممر أو الميناء SP– paerto، ذات صلة بالكلمة اللاتينية Porta التي تعني الباب أو المدخل، استخدمها الكتاب العرب للدلالة على تسمية جبال بلاد الفرنجة التي يترجمونها إلى معنى الأبواب، الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٩٦، فيما يعرفه البكري على أنه "جبل ألبرت هو الحاجز بين بلاد الإسلام وبلاد غالين ومبتدؤه من البحر القبلي المتوسط المجاور لطرطوشة ومنتهاه إلى البحر الغربي بين الأشبونة وجليقة" ينظر: عبد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤)، جغرافية الأندلس وأوربا، تح: عبد الرحمن الحجي، دار الإرشاد (بيروت – ١٩٦٨) ص٨٥.

(٨٥) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص٢١٧.

(٨٦) سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص١١١.

(٨٧) الفاطميين: وهم من نسل الإمام علي (عليه السلام) والسيدة فاطمة (عليها السلام) بنت النبي محمد (ﷺ) وقد ذكر ابن الاثير بان جماعة من العلويين العالمين بالانساب اعترفوا له بان الفاطميين هم من أولاد علي {ع}، ينظر: ابو الحسن علي بن محمد (ت٦٣٩هـ/١٢٣٩م): الكامل في التاريخ، دار صادر (بيروت– ١٩٦٦) ٨/٤–٩.

(٨٨) أرشيبالد، ر. لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (٥٠٠–١١٠٠م) ترجمة: أحمد محمد عيسى، مراجعة: محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة (القاهرة – د.ت) ص٢٣٥.

(٨٩) الشيخ، محمد محمد مرسي: دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس إلى أواخر القرن العاشر الميلادي، مؤسسة الثقافة، (مصر– ١٩٨١) ص١٩٣.

(٩٠) عنان، دولة الإسلام، ص٤٢٣.

(٩١) سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص١١١.

(٩٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٠٩/١.

(٩٣) سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص١١٢.

(٩٤) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ٣١٠/٤.

(٩٥) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص٢٢٠.

(٩٦) سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص١١٣.

(٩٧) عاشور، أوربا في العصور الوسطى، ٥٩٧/١.

(٩٨) سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص١١٧.

(٩٩) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص٢٢٧.

(١٠٠) سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص١١٧.

(١٠١) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص٢٢٧.

(١٠٢) العبادي، أحمد مختار: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس (الأسكندرية – ١٩٨٢) ص٢٧٢؛ ينظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ١٤٣/٤؛ عنان، دولة الإسلام، ص٤٥٨؛ الشيخ، دولة الأفرنجة، ص٢٠٥؛ الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين (بيروت – ١٩٨٠) ٢٢٧/٣.

(١٠٣) سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص١١٨.

(١٠٤) السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم، ص١٧٢.

(١٠٥) سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص١١٩.

(١٠٦) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص٢٣٤.

(١٠٧) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص٢٣٤؛ الشيخ، دولة الأفرنجة، ص٢٠٧.

(١٠٨) العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٧٥.

(١٠٩) سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص١٢٠.

(١١٠) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ١٦٤/٤.

(١١١) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص٢٣٨.

(١١٢) سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص١١٢. ؛ رينو، الفتوحات الإسلامية، ص١٨٨–١٨٩.

(١١٣) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص٢٣٩.

(١١٤) المرجع نفسه، ص٢٤٦.

(١١٥) عنان، دولة الإسلام، ص٤٣٢.

(*) ومع ذلك فقد كانت هنالك معاهدات طريفة في الأندلس تمثلت في زواج الأمير (عبد الله بن محمد) من أحدى الأميرات النافاريات وهي (ونقة) ابنة (مرتوني بن غرسيه) المعروف بـ(الأزقر) الذي اسره الأمير (محمد بن عبد الرحمن) وسجنه في قرطبة لمدة عشرين سنة وكانت هذه (ونقة) تزوجت قبل ذلك من أمير نافاري هو (أزناربين شاجة) وانجبت منه ابنة هي (طوطة) التي ستصبح ملكة نافار وتعاهد عبد الرحمن الثالث وتفد عليه في سفارة سنة (٣٤٧هـ/٩٥٨م) ساعية إلى عقد معاهدة سلم وصداقة مع قرطبة، ينظر: المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت١٠٤١هـ/١٦٤٨م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ تح: إحسان عباس (بيروت – د.ت) ٣٦٦/١؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم، ص١٤٣.

(١١٦) الأطام: وهي حصون لأهل المدينة، الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ/١٠٠٠م): تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور، ط٤ (بيروت – ١٩٨٧) ١٨٦٢/٥، مادة (أطم).

(١١٧) عنان، دولة الإسلام، ص٤٢٧–٤٢٨.

(١١٨) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص١٣٤-١٧٤.

(١١٩) عنان، دولة الإسلام، ص٤٢٩؛ Bovquet, Tushud, (London- 1963) p.60.

(١٢٠) عنان، دولة الإسلام، ص٤٢٩-٤٣٠.

(١٢١) المرجع نفسه، ص٤٣٠.

(١٢٢) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص١١٨.

(١٢٣) الحجي، أندلسيات، ص٥٣.

(١٢٤) رينو، الفتوحات الإسلامية، ص١٣٥.

(١٢٥) عنان، دولة الإسلام، ص٤٣١.

(١٢٦) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص١٨٩.

(١٢٧) عنان، دولة الإسلام، ص٤٣١-٤٣٢.

(١٢٨) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص١٩٠-١٩١.

(١٢٩) المرجع نفسه، ص١٩١.

(١٣٠) صورة الأرض، ص٢٤٠.

(١٣١) تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص٤١٠.

(١٣٢) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص٢٣٣-٢٣٤.

(١٣٣) ابن حيان، المقتبس، ص٣٥٨.؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ١٤٤/٤.

(١٣٤) رينو، الفتوحات الإسلامية، ص١٨٩.

(١٣٥) مؤنس، فجر الأندلس، ص٢٤٧.

(١٣٦) ينظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٦-١٧.

(١٣٧) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص٢٤٠-٢٤٣، ٢٦٤-٢٦٦.

(١٣٨) المرجع نفسه، ص٢٣٣.

(١٣٩) السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم، ص١٤٥-١٤٦.

(١٤٠) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص٢٢٩.

(١٤١) أبا الخيل، محمد بن إبراهيم، الأندلس في الربع الأخير من ق٣ الهجري (الرياض- ١٩٩٥) ص١٧٥.

(١٤٢) حتي، فيليب وآخرون: تاريخ العرب مطول، دار الكشاف (بيروت -٢٠٠٩) ٧١٧/٣.

(١٤٣) صورة الأرض، ص٢٠٤.

(١٤٤) أرسلان تاريخ غزوات العرب، ص٢٢٩.

(١٤٥) عنان، دولة الإسلام، ص٤٢٦-٤٣٩.

(١٤٦) المرجع نفسه، ص٤٢٦-٤٣٥.

(١٤٧) ولا يزال هناك غابة منه يقال لها (غابة المغاربة) وكذلك العرب هم الذين يستخرجون القطران من اشجار الصنوبر والأرز يقلفطون به المراكب، ولهذا نجد أهالي بروفانس لا يقولون قطران Qutran، ينظر: أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص٢٣٨.

(١٤٨) رينو، الفتوحات الإسلامية، ص٢٢١.